

الحرب والمجتمع العسكري دراسة اجتماعية - العراق أنموذجاً

أ.م. ماجدة شاكر مهدي

كلية الآداب - جامعة بغداد

الكلمات المفتاحية: الحرب، المجتمع، العسكرية

الملخص:

تأتي هذه الدراسة كمساهمة نظرية ومعرفية لدراسة ظاهرة الحرب بأشكالها التقليدية والمعاصرة كونها ظاهرة تاريخية متغيرة ومعقدة وفق مؤشرات دولية وعالمية تقتضيه الظروف والمصالح والدراسة الحالية توضح خطورة الظاهرة وذلك من خلال دراستها أولاً، وتتبع مفاهيمها وتطورها الزمني وتسلط الضوء على انعكاساتها الاجتماعية لمعرفة مخاطر العسكرية المتمثلة بانتشار السلاح وعسكرة التنشئة الاجتماعية وما تحمله من أزمات اجتماعية وأمنية وسياسية على أفراد المجتمع من خلال الفترات الماضية.

المقدمة:

إن ظاهرة الحرب تتجلى بمسميات متعددة وفق تداعيات وأسبابها وتأثيرها، فهي وفق المفاهيم الأولية للحرب نزاع مسلح دولتين أو جماعة ذات تنظيم معتدي ودولة معتدي عليها، فإذا نظرنا إلى أنواع وأشكال الحروب أولاً وعرضناها نجد أن الحروب التقليدية واحدة من الحروب التي تستخدمها بشكل أساسي القوات العسكرية النظامية ضد دولة أو مجموعة من الدول.

أما التداعيات المعاصرة فرضت على الدول أشكالاً مصوراً متنوعة ذات انعكاسات وأبعاد ثانوية تمثلت في متطلبات الأعداد والتهيؤ لها، يفعل المؤثرات العسكرية الحديثة لم يكن يستخدمها الشعوب الأقدمين، مثل التكتيك والاستراتيجية والتحول وفرض الإرادة الأقوى. وهذا يؤثر أن التاريخ الإنساني يتعاقب الحقب الماضية والحديثة باختلاف الحروب وأسبابها وتأثيراتها عانت من نكبات الحروب ونشوء الصراعات في أغلب المجتمعات الإنسانية.

تألفت الدراسة من ثلاثة فصول رئيسة، تتضمن الفصل الأول الإطار العام للدراسة والمفاهيم الأساسية، والفصل الثاني تكون من أهم الأدبيات السابقة والنظريات المفسرة للدراسة، والفصل الثالث عرض نظري تحليلي للدراسة، ختمت بالاستنتاج الموضوع والخاتمة.

الفصل الأول: الإطار العام للبحث - المبحث الأول - مرتكزات البحث

أولاً: مشكلة البحث

يعالج البحث ظاهرة إنسانية معقدة وهي دراسة الحرب كونها نشأت منذ وجود الإنسانية كظاهرة اجتماعية وسياسية وتاريخية وهذه الحروب قد مرت بمراحل تاريخية عقب الفترات الزمنية بحيث كل وقت كانت تبحث المصالح الجديدة وجهاً جديداً للحرب بحكم العلاقة الجدلية بين الحرب والمصالح هذا من جانب، أما الجانب الآخر فظاهرة الحرب معقدة تضي أنماطاً مختلفة وتلقي آثارها التدميرية على المجتمعات البشرية بما تحمله من آثار عسكرية تتمثل بالإنفاق العسكري وانتشار السلاح بالإضافة إلى آثارها الاجتماعية على أفراد المجتمعات كافة.

لذلك مشكلة البحث الحالية تحاول دراسة هذه الظاهرة وأسبابها، وأشكالها، التقليدية والحديثة وانعكاساتها العسكرية على المجتمعات موضحة أهم الظواهر التي عاشها المجتمع العراقي من أعقاب الحرب وعسكرة المجتمع خلال الفترات الزمنية السابقة وتعقب آثارها.

ثانياً : أهمية البحث

للدراستات والبحوث الاجتماعية في اختصاص علم الاجتماع بشكل عام أهميته على كافة أفراد المجتمع كمكون تمس أحواله الاجتماعية والسياسية على حد سواء، لذلك يسلط البحث الحالي دراسته لموضوع مهم يعالج ظاهرة الحرب وأسبابها وأهم المتغيرات الاجتماعية والسياسية لحدوثها وأخطارها التدميرية بكافة مراحلها على المجتمع لما تسببه من انتشار السلاح وسيادة مظاهر العنف وعسكرة المجتمع وانعكاساته الاجتماعية على المجتمع.

أهمية النظرية للبحث :

1- تسليط الأنظار والدراسات المعرفية لتتبع ظاهرة الحرب وآثارها المجتمعية على أمن الأفراد وحياتهم الاجتماعية.

2- هذه الدراسة إضافة علمية في مجال علم الاجتماع العسكري وذلك لأهمية هذه الدراسة أولاً واحتقار هذا الفرع وقلة الدراسات باختصاص (علم الاجتماع العسكري) لذلك تعد رصيد معرفي جديد في هذا الحقل السوسيولوجي العسكري.

الأهمية التطبيقية:

تدخل دراستنا وتوجه المسؤولين وأصحاب القرار بخطورة الحرب كظاهرة اجتماعية أولاً قبل أن تكون ظاهرة عسكرية وذلك تستقدم الأدلة والتوصيات النظرية الخاصة بالدراسة من خلال تعميق التوصيات بمخاطر هذه الظاهرة وأبعادها المستقبلية.

ثالثاً : أهداف البحث

البحث الحالي بعد التعمق والاطلاع على أهم الدراسات والأدبيات ذات العلاقة بموضوع البحث نعرضها بالتسلسل وفق التحليل العلمي والمنهجي لأهميتها:

1- دراسة ماهية الحروب كأحد أهم الظواهر الاجتماعية والسياسية بمعناها التقليدي الحديث.

2- استقصاء الجذور التاريخية للحرب وبيان فلسفتها بالمجتمعات المعاصرة وخصوصاً مجتمعنا العراقي.

3- استقصاء بعمق وفق منهجية موضوعية لظاهرة الحرب.

4- بيان أهم التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية لظاهرة الحرب في المجتمعات مروراً بمجتمعنا العراقي.

5- تتبع التفسيرات والطروحات المسببة لظاهرة الحرب ضمن سياق تحليلي معمق.

6- دراسة تأثير المجتمع العسكري المعروفة بـ (عسكرة المجتمع) وعرض يقضي التجارب لها ومنها مجتمعنا العراقي.

المبحث الثاني – تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية للبحث

أولاً: الحرب لغة . تعرف كما ورد في معجم المعاني (أنها قتال بين فئتين أو جمعها حروب وعكس سلم)⁽¹⁾.

كما تعرفها الموسوعة البيطانية : بأنها صراع سياسي ينطوي على أعمال عدائية في فترة زمنية ممتدة ونطاق واسع⁽²⁾.

الحرب اصطلاحاً :

أعمال عدائية مسلمة بحجم كبير وبدرجة كبيرة من الاستمرار بين دولتين أو حكومتين أو أكثر والحرب الهدف منها صيانة الحقوق والمصالح والدفاع عنها في مواجهة الطرف الآخر.

أما كارل كلوزوفينش : هو أحد المتطرين للحرب فيعرفها بأنها أداة للنشاط السياسي ولا ينفصل عنه بأي شكل من الأشكال وأن الحرب ليست إلا استمرار للسياسة بوسائل أخرى⁽³⁾.

أما العالم توماس هوبز : فيعرف الحرب بأنها صراع يتم بين الإرادات الوطنية يتحكم فيها عامل الزمان والمكان أي أن الحرب ليست فقط بمفهومها التقليدية بل أن الحروب مستمرة بأطر جديدة ضمن ثنائية الزمان والمكان والظروف المتحركة فيها⁽⁴⁾.

وتعرف الحروب بشكل قانونياً : بأنها عنفاً مدبراً ومنظم يخضع بشكل أو بآخر لقواعد شكلية أو عرفية، هذه القواعد أقرب لكونها تكتيكات عسكرية، وعادة ما يتم الاتفاق عليه ضمناً بين الأطراف المتنازعة⁽⁵⁾.

ثانياً : المجتمع لغة

هو مصطلح مشتق من الفعل (جمع) وهي عكس كلمة (فرق)، على وزن (مفتعل)⁽⁶⁾، وتعني مكان الاجتماع، والمعنى الذي يقصد بهذه الكلمة جماعة من الناس⁽⁷⁾.

المجتمع اصطلاحاً :

مجموعة من الأفراد تعطن على بقعة جغرافية محددة من الناحية السياسية ومعترف بها ولها مجموعة من العادات والتقاليد والمقاييس والأحكام الاجتماعية⁽⁸⁾. كما يعرف : بأنه عدد كبير من الأفراد المستقرين تربطهم انتماءات ومصالح مشتركة، وأنظمة وقوانين تحت.

العسكرة اصطلاحاً :

هو مؤشر من مؤشرات انتشار الجماعات المسلحة غير النظامية، وأحياناً تكون خارج سلطة ورقابة الدولة⁽⁹⁾.

المجتمع العسكري :

هو الذي يتميز تنظيمه وأيديولوجية المشرعنة للعسكرة، وفق مررات اجتماعية وسياسية تحددتها الأنظمة باختلاف الحقب التاريخية.

الفصل الثاني: الدراسات السابقة -

المبحث الأول: نماذج من الدراسات العراقية

أولاً: الدراسات العراقية

1- د. عصام مهدي عبد، الحرب والمجتمع، دراسة اجتماعية تحليلية لأسباب وآثار حرب الخليج 1999⁽¹⁰⁾.

هدفت الدراسة محاولة الكشف عن أسباب وآثار حرب الخليج الثانية في العراقيين خلال عقد التسعينيات أمن خلال هذه الدراسة أيضاً وضحت أهداف علمية ركزت عليها الدراسة معرفة بنية المجتمع العراقي قبل أحداث حرب الخليج الثانية وبعدها، إضافة الى تحليل وتفسير أسباب وآثار حرب الخليج الثانية في المجتمع العراقي ومعرفة أمام الانعكاسات الاجتماعية على بنية المجتمع العراقي بهدف إعطاء صورة واضحة عن حقيقة الاصطناع الاجتماعية والاقتصادية

والديمقراطية الى الجهات ذات العلاقة، بغية معالجة الآثار والمشكلات الناجمة عن الحرب والحصار.

2- جنان شاكر الراوي، آمال عبد الحميد، الآثار الاجتماعية والبيئية الناتجة عن الحروب على العراق للفترة من (1980 – 2015) ⁽¹¹⁾.

هدفت الدراسة التطرف ومعرفة الآثار الاجتماعية والاقتصادية والبيئية التي نتجت عن الحروب المتتالية على دولة العراق خلال حرب الخليج الأولى وحرب الخليج الثانية، وأخيراً الغزو الأمريكي على العراق.

واعتمدت الدراسة على استخدام المنهج الوضعي والتأريخي. مستخدمة عينة الدراسة أسلوب المعاينة العشوائية الطبقية على عينة قدرها (181) مبحوث.

فقد توصلت الدراسة الى وجود العديد من الآثار السلبية التي خلقتها الحروب المتتالية على العراق من الآثار الاجتماعية وأهمها أن العراق أصبح مركزاً للفقر والبطالة وخطف وبيع الأطفال والأيتام، والاتجار بالأعضاء البشرية، واستعراض لعصابات تهريب الأطفال، وارتفاع نسبة البطالة الى أكثر من (50%) بين الشباب، وغياب الترابط الاجتماعي في المنطقة الواحدة، وفقدان الثقة بالمجتمع واقتراض واستهداف منظومة القيم والأخلاق بالمجتمع العراقي، وأيضاً آثار اقتصادية تمثل بوجود خلل في الاقتصاد العراقي وعدم قدرته على تحقيق أو جذب استثمار أجنبي والاستفادة من برامج المساعدات الاقتصادية التي منحت له، إضافة العديد من المؤسسات والمنشآت الاقتصادية وتدميرها، وأخيراً الآثار البيئية (مثل تملح الأرض، وظاهرة التصحر، وتلوث المياه).

وأوصت الدراسة: ضرورة العمل على نشر ثقافة السلام في المجتمع الدولي وخاصة مناطق الحروب المشتعلة في منطقة الشرق الأوسط للحد من مطأة الآثار السلبية للحروب ودعم الجهود الدبلوماسية في حل المشكلات والنزاعات العرضية التي تؤجج النزاع والخلاف بين التعاليم والعشائر العراقية، وتعزيز سياسة المحتواء بين محل الجوار رصد أي خلاف عسكري قد عدت ومحاولة العمل على إزالة العقوبات الدولية المفروضة على دولة العراق لدعم الاقتصاد العراقي وتحريره من القيود المفروضة عليه.

ثانياً : الدراسات العربية

1- د. مهدي محمد القصاص، الحروب الحديثة وأثرها على أمن المجتمعات، دراسة ميدانية ⁽¹²⁾.

هدفت الدراسة الى التعرف طبيعة الحروب الحديثة وأهم الوسائل المستخدمة فيها، والكشف أثر الحروب الحديثة على أمن المجتمع المصرية، وكذلك بصد الشائعات كآلية فاعلة في الحروب الحديثة بالإضافة الى وضع بعض المقترحات للحد من الحروب الحديثة والعمل على مواجهتها. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، كما اعتمدت على الاستبيان كأداة لجمع البيانات، وتم تطبيقها على عينة قوامها (114) طالب وطالبة من الفرقة الرابعة بقسم الاجتماع – كلية الآداب – جامعة المنصورة.

وتوصلت الدراسة الى عدة نتائج منها أن أهم آثار الحروب الحديثة على أمن المجتمع المصري تتمثل في التجنيد الإلكتروني للشباب من قبل جماعات إرهابية، ونشر الشائعات والفوضى، ونشر الفكر الديني المتطرف وتولد أفكار مخزية تضر بالمجتمع.

- المبحث الثاني – النظريات المعتمدة للبحث

1- نظرية ابن خلدون لظاهرة الحرب :

لا يمكننا وصف دراسة ابن خلدون للحرب المحض الصيغة حيث قام ابن خلدون تحليل آليات المالك ونظامه عن طريق أدويته في بناء نظرية متكاملة للدولة والسلطة تقوم على دراسة النموذج القبلي وتحليل مظاهر الخلافة وإشكال الحكم بطريقة استقرائية تستنطق الأحداث التاريخية والتجارب السياسية المختلفة والحرب تمثل الآليات الملك بل هي عنصر أساسي في العمل السياسي، حيث يصف ابن خلدون الحرب بتحليل وبصورة علمية وتقنية وأيضاً من قبل كثير من المؤرخين واستراتيجيين العرب في الوثائق التاريخية فهي جميعها قد اهتمت بالحروب وسلاحها ومعدات ولوازمها وغنائمها ونتائجها وهذا كله، وأن كان يتطلب أعمال النظرية وأبحاث الحقيقة لا يهملنا هذا الموضوع بقدر أهميته حسب وصف ابن خلدون أنها (تسجيل للبضائع)، وتسترسل في تحليل وكتابات ابن خلدون حيث نجد أن الحرب عنده كما كتب في (المقدمة)⁽¹³⁾ بأنها تساعد على بناء المجتمع والملكوت وتشغيل لعصبية والحرب في نظرة تبقى أساسات ظاهرة سياسية تابعة لنظام الملك فقد خصص له ذلك وفي الحديث عن الحرب نجد أن ابن خلدون لم يأخذ صيغة مستقلة بذاتهم بمعنى أن التحليل الخلدوني لظاهرة الحرب لم يكن يرى، من الحرب نفسها ولا يريد معرفة الحرب في الحرب في بخط تكوينها سير وردت في ورقة الأمر وأخيراً يمكن تحديدي من ذكر أعلاه ثلاثة نقاط أساسية لفهم نظرية ابن خلدون في الحرب تمثل الأولى في تسطير حفل انتهاء الحرب، وتتمثل الثانية في استراتيجية الحرب وأنواع القتال وتتمثل الثالثة في شرح أسباب الانتصار.

طبيعة الحرب عند ابن خلدون :

يصفها ابنها وضع طبيعي بالإنسان ذنب لأخيه الإنسان مرة ذلك، الى العصبية والانتقام، والدفاع عن النفس ويؤكد ابن خلدون (الطبيعة في البشر) سواء جاء هذا في قالب حرب أو قتال أو عصبية أو غزوة، كل مظاهر العنف الطبيعي والعمراني، حيث أن العنف يصفه ابن خلدون في (شكله الحربي) متخذاً منه على حد وصفه أنواعاً مختلفة يحددها ابن خلدون في قسمين، قسم خاص بالحرب العادلة - وقسم خاص بالحرب غير العادلة التي يسميها حروب بغية. حروب البغية الى صنفين⁽¹⁴⁾ :

- الحروب القائمة على الغيرة والمنافسة وتقوم به القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة.
- الحروب القائمة على العدوان وهي حروب وحشية تقوم بها بواسطة الحرب وأرزاقهم في رماح وهذا الصنف من الحرب غير سياسية الهدف منها الوصول الى الحكم والسلطة ولغايات اقتصادية.
- الحروب العادلة الى صنفين :
- الجهاد ويحدد ابن خلدون حرب الجهاد والغاية أحياناً تكون دينية بحته وهي كما يقول الغضب لله.
- حروب الدول وغيتها الملك والدفاع عنه والسعي إليه والمحافظة عليه.

2- النظرية الواقعية في تحليلها لظاهرة الحرب :

تري المقاربة الفكرية لتحليل أسباب الحرب التي يعتمدها الواقعيون في دراستهم باختلاف مواقفهم النظرية الواقعية نفسها، وتتباين تفسيراتهم لظواهر النزاع تبين أحد العناصر الآتية أو جميعها: أولاً: مستوى التحليل الذي ينظرون من خلاله، ثانياً: المفهوم النظري المركزي الذي يعتمدونه، ثالثاً: الفرضيات الرئيسية التي ينطلقون منها.

قام بها (والتز) في كتابه (Man, the state and War)⁽¹⁵⁾ (الإنسان والدولة والحرب) وبحسب اللغة المستعملة من والتز، المنهج الرائج في تفسير وتصنيف النظريات الحرب، ومن أهم نتائج هذا التصنيف أنه يقوم بتمييز النظريات التي تضع أسباب ظاهرة الحرب (Phenomenon War) على مستوى الهولة، وأهمها الواقعية الكلاسيكية، حيث تعد الواقعية الكلاسيكية من أهم النظريات الهولية التي تضع أسباب الحرب على مستوى الدولة (أو الوحدة).

حيث قدم والتز منذ وقت مبكر بتصنيف نظريات (ثيبور - ومورغنتاو) ورفعاً إياها في خانة النظريات التي تضع أسباب الحرب في طبيعة الإنسان وسلوكه، حيث يعتمد الواقعيون

الكلاسيكيون على الطبيعة البشرية متغيراً تفسيراً للحرب، حيث يستدلون بالدور التاريخي الذي أدته العوامل النفسية، مثل الغرائز والنزعات العدوانية والطباع الشرسة وبعض المشاعر المحفزة – كالطمع والشرف والمجد والفخر، والغضب والانتقام في أشعال الحروب بين الدول. ويصرح هؤلاء العلماء بأن التاريخ غاص في قصص الحكام والملوك الذين خاضوا حروباً لأسباب شخصية لا تمت بصلة إلى مصلحة الدولة أو الشعب ويؤكدون الرغبة في التوسع وإدارة القوة وجنون العظمة تفسيرات منطقية لكثير من الحروب المعروفة في التاريخ الدولي⁽¹⁶⁾. وفي نفس السياق يؤكد الواقعيون الكلاسيكيون أن احتمالات الحرب ترتفع عندما تحقق دولة واحدة التفوق على القوى العظمى في النسق، وتنخفض احتمالات بينما تحقق تلك القوى ما يشبه التعادل في القدرات، وهذا يعني أن ميز أن القوى متغير قاسم في تفسير وقوع الحرب. إذا وأكثر تفصيلاً وبناءً على ما ذكر لا يشتق الواقعيون الكلاسيكيون ميزان القوى من المحددات النسقية (كما يفعل الواقعيون البنيويون)، ولكن من محددات مستوى الوحدة، ومن الطبيعة البشرية تحديداً، فهم يؤكدون أن الدولة المتفوقة (أو المهيمنة) تبدأ الحرب لأسباب تكمن في مستوى الوحدة، مثل الرغبة في القوة والصراع الذي نتيجة. يحضى ووفق تفسير الواقعيون أن الحرب تقع سبب الإنسان سواء كان رجل دولة أم ضابط عسكرياً أم رجل أعمال، وفي النهاية يستنتج الواقعيون، بسبب تصورهم المتحائم للطبيعة البشرية، أن الحرب ستظل ماثلة أمام الدول بسبب هذه الصفة الموجود بالطبيعة الإنسانية ذاته.

الفصل الثالث: الحرب والمجتمع العسكري- المبحث الأول –

أولاً: ماهية الحروب بمعناها التقليدي والحديث

ما يميز الحروب التقليدية عن غيرها من الممارسات الحربية أنه تجري باستخدام وتكتيك مباشر باستعمال الأسلحة التقليدية، وتوصيف بكونها واضحة العيان تتسم بالمواجهة بين دولتين أو أكثر تكون كل القوى واضحة الأفكار والاتجاه لأن هذا النوع من الحروب تخوضه بشكل رئيسي القوات النظامية للدولة أو مجموعة دول ضد دولة أو أكثر ويكون نزاع الصراع تبادلي بين كيانات وتحالفات قد يكون أحياناً السبب من وراء هذه الحرب السيطرة وزيادة الهيمنة أو إعادة تنظيم الخارطة الجغرافية يتسبب ربما للحصول على أهداف واستراتيجية ذاتية تخضع لها الدولة الخاسرة بالحرب، وللحديث عن أشكال وتاريخ الحرب بشكل أكثر تفصيلاً ترى أن الحرب قد بدأت في مرحلة تاريخية لا يمكن للشارع أن يثبت لها بدقة، فما ((يذهب إليه)

دوين دروس) في كتابة الجيوش الأولى، هو أن الحروب وزعت على ثلاثة مراحل متتابعة حروب الحصار، حروب العربة، وحروب المشاة، ولكل حقبة من هذه الحروب نظامها العسكري والسياسي وبنيتها الاجتماعية الخاصة بها الدولة المدنية، المملكة العظمى، وأخيراً الإمبراطورية المركزية.

أما المرحلة الأولى من الحروب فقد ظهرت في المنطقة السامرية قبل حوالي (3800 ق.م) فقد كانت حروب تقوم على حصار المدن الكبيرة في سبيل أخضاعها، وهذا معناه أن دول المدينة هذه قد طورت لنفسها نظاماً دفاعياً سريعاً ما كسرت شوكتها بظهور الممالك العظمى قبل حوالي (350 ق.م) أو التي اعتمدت للأكديين استراتيجية أخضاع المدن بما يطلق عليه دوسون مفهوم (العاصفة) بمعنى تكييف واستغلال الظروف البيئية بما يتابع مع الحرب أثناء الهجوم بالقوة والقدرة والإمكانيات البشرية لاحتلال المدن.

أما المرحلة الثانية فقد تطورت حيث تمثلت فكرتها بالعربة – الحصان قبل حوالي (1700 ق.م) حيث سمح هنا الاقتراع لأول مرة بإمكانية وجود قوتين هجوميتين في نفس الساحة، وقد ابتهت هذه الحقبة بحلول الـ (1000 ق.م)، حسب ظهرت قوى المشاة مدعومة سلاح الفروسية، وهذا الأفكار والاختراعات أدت بذات الوقت ليتصاعد وتيرة الحرب وأعطى دفعة قوية لترسيخ وتعميق شكل الإمبراطوريات المركزية⁽¹⁷⁾.

وإذا كانت الحروب قبل هذا التاريخ يخوضها على أقل تقدير طرفان حتى ومبادرة بها طرف واحد يوظف الكلام عنه كلمة ضد كان نقول حرب الطرف واحد ضد اثنين على اعتبار أن الطرف غير المبادرة بالحرب مهما كانت قدرته بالهجوم الدفاعية ضعيفة، ومما كانا تأثير عامل المباغتة على استعداداته للحرب أنه يظل لديه حد المعتبر من إمكانية تخوض حرب ثنائية الطرف ولا يتركها حرب وحيدة الطرف، ويعود السبب في ذلك التكنولوجيا المعاصرة الحربية المجهزة بها القوات التقليدية التي لم تبلغ عن إذا تخذ من التطور مؤثراً على شكل المقدرة الخصم تماماً عن الرد بأي شكل وهذا ليس كما هو حاصل في الحروب الولايات المتحدة الأمريكية لفترة ما يعد الحرب الباردة حيث توظف فيها القوات التقليدية الأمر كلية أسلحة متنوعة وعلى درجة كبيرة ما تسمى الفعالية في الميدان وهكذا سجل التاريخ في هذه المرحلة تغييراً في شكل الحرب حيث أصبح بالصرافة حروب جوية تخوضها الولايات المتحدة الأمريكية القوة العسكرية العظمى في العالم، ومن هنا يشير العالم (جوزيف كولينز) إن هناك على الأقل الدعايات الواضحة الناجحة عن

مستجدات حروب الفترة الأخيرة، يقول كوليز سوق لتصبح أكثر فأكثر تقنية مثلاً التصادم في حالة الحرب تشنها طائرات عسكرية هجومية من دون طيار.

وهذا فضلاً عن ما جاء به مالشيفيتش عن الحرب ووصفها كونها ظاهرة حديثة، وما كانت أن تكون لولا التنظيم الاجتماعي وسرقة القسر فيها مما جعلها تختلف عما سبق قبل التاريخ الحديث من إضراب وغزوات لناعية طول أمد الحرب الحديثة ووحشيته الأشد فتكاً بالبشر، ففي الحرب التنظيم الاجتماعي، وليس الأجساد والعتاد المادي هو هذه المناورات القتالية. والجيوش تحارب لا لكي تقبل الجنود وتعطل الأسلحة وتكسب المرض فقط، وإنما كي تقوض قدرة الخصم على المقاومة.

وذلك لكون الجيوش مآكينات بيروقراطية في المقام الأول تسعى لتعطيل تنظيم وبيروقراطية خصها للانتصار عليه وهذا التغيير هو وقف كتاب سوسيولوجيا الحرب والعنف. إذن صورة الحرب الحداثوية الجديدة ووفقاً للتنظيم الاجتماعي للحرب عندهم قد جعل العنف ممارسة خارجية في ظل تنظيم المجتمعات على أسس قومية أو هذا ما كانت محصلته حروب النصف الأول من القرن العشرين العالمية كما عمل التنظيم الاجتماعي وبرقطة القسر، في ظل الحداثة على عقلنة العنف، مما جعله أكثر فتكاً وتدميراً خصوصاً مع التقدم التقني والفني الحربي على حد سواء. ومع ذلك ورغم التوتر الذي بواديه النظم الاجتماعي وبرقطة القسر في الحرب، وفي شكلها المتوحش الذي صارت عليه حديثاً مع الحداثة، فإن ذلك وحده لا يجيب بالنسبة لما لتشيفيتشي عن سؤال الحرب وعنفها إلا بالتوازي مع أدلجته وفق الأيديولوجيا المشرعة لممارستها.

وبهذا يظل سينبشياً ما لشيفيتش على مقولته، بأن البشر غير مبالين فطرياً إلى الحرب وبالتالي وإضافة لدور النظم الاجتماعية (Social Organization) وبرقطة القسر والظلم يبقى هذا غير مبرر وكافٍ لممارسته، إذ يشترط في فعل وقيام الحروب شرطين أساسيين التحفيز أولاً: والتبرير ثانياً. ويتطلب ذلك بالنسب إلى ما لشيفيتش، أيديولوجيا بما ترفده الأدلجة من (تحفيز) على القتال من جانب آخر، تشتعل الأدلجة على تبرير فعل الصنف والقتال عبر مقدمات متصلة بالمثل والمبادئ الأخلاقية المتوفرة في الأغلبية من النظم الاجتماعية والتي يدفع أحياناً لفعل القتل والحرب لأغراض نبيلة تقتضيها تلك المثل والمبادئ.

حيث يحاول مالشيفينس لدور الأدلجة لشرعنة الحرب في الشارع الحديث من خلال تناوله لظاهرة حروب (الإبادة الجماعية) والتي يعتبرها ظاهرة مستجدة في التاريخ متصلة بالدولة

القومية الحديثة، بمعنى لولا شرعنة القتل الجماعي بخطاب محمولة بأدلجة لها غايات وأغراض جماعية نبيلة ما كانت أن تحدث وينطبق أعلاه على جملة من الذابح وحروب الإبادة التي حدثت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والقرن العشرين، أن مذبحه الأرمن في سنة 1915 وهي واحدة من أولى الإبادات العراقية في القرن العشرين لم تنظم وتنفذ من قبل الأمبراطورية العثمانية – السلالية.

وإنما على يد حركة تركيا الفتاة الحداثية والعلمانية والمتغيرينة، والعازمة على بناء دولة حديثة متجانسة ثقافياً يافعاً وطني – أيديولوجي، حيث جرى تصوير الفلاحين الأرمن، وفق تصور أيديولوجي على أنهم طابور خامس خائن يهدد وجود الدولة التركية الحديثة نفسه. وهذا ينطبق على كثير من فعل الإبادة الجماعية.

في الحرب العالمية الثانية، خصوصاً في ظل الأيديولوجيا النازية – الألمانية التي اقتضت التدمير الممنهج لجماعات بأكملها من الناس اليهود والعبيد والفجر والمثليين جيشاً وغيرهم، وحقيقة هذا حب رؤية مالمشيفيش يتطلب النظم الاجتماعي الحديث والأيديولوجية الحديثة بحيث يؤيد أن ما شهدته الحقب التاريخية من دمار هو أقل بكثير من أسلافهم وأن البث الحداثيين هم أشد عنفاً من السلالات القديمة وفق مطلع كناية (سوبر لعصيا الحرب والعنف) ⁽¹⁸⁾.

بمعنى على حد وصفه أن (الدول السلالية) لم يكونوا يحتاجون لأيديولوجيا مشرعة لحروبهم، بالقدر الذي باتت تحتاج إليه سلطات الدول القومية مع الحداثة، حيث متطابق فيها الدولة مع المجتمع تطابقاً تاماً. كما لأن الدولة القومية – الأمة، باتت تجسيدا لروح الشعب ومثله والنزوع نحو تقرير مصيره في إطارها مما يتطلب أدلجة للحرب من أجل شرعنته وتحشيد الجماهير لها.

ثانياً: التفسير السوسيولوجي لظاهرة الحرب

أن الفكر الاجتماعي لم يكن غائباً أو متجاهلاً لظاهرة الحرب وإنما هيمنة النظرية الاجتماعية – ضد العسكرية في النصف الثاني من القرن العشرين هي التي ظهرت وأخرت السوسيولوجيا عن الدراسات الخاصة بالحرب، وذلك عن طريق تجاهلها للتقليد السوسيولوجي الحربي، وإعادة تأويل الأعمال الكلاسيكية وفق معايير سلمية على نحو جاد وملزم في نفس الوقت، هذا الابتعاد عن الحرب مظهرة في الفكر الاجتماعي الحديث هو تسييس له حدث في أروقة الأزمات السياسية المتعلقة بالعلم الغربي، حيث كان الخطاب ضد الحرب وقتها قد جرى تعميمه على العالم تربوياً واجتماعياً وتعافياً، بعد أن تعبت منه أوروبا متأثرة كلياً بنار الحرب خصوصاً الحرب العالمية

الثانية، وبالتالي وظف الفكر الاجتماعي وعلم الاجتماع في الأكاديمية الغربية عموماً في خدمة تعميم خطاب نبذ العنف – واعتبار الحرب ظاهرة عرضية على هامش الحداثة. وهذا عمل ليس فقط على إسقاط التراث الاجتماعي الحربي الكلاسيكي من الفكر الاجتماعي الغربي الحديث إنما على اختزال الفكر الاجتماعي الغربي بـ (الثالوث المقدس) الحيل دورتها – 4 – كارل ماركس – وماكس فيبر، الذين اعتبروا بعد الحرب العالمية، وبأثر رجعي بمثابة الآباء المؤسسين لعلم الاجتماع، حيث لبروز (الثالوث المقدس) إرث سويسر – سياسي وحوادث الحربين العالميتين حيث تناولوا موضوعات وقتها كانت أهم انشغالهم فيها – من قبيل التقسيم الطبقي، الرفاهية، المساواة بين الجنسين مما جعلها سوسيولوجيا سلمية يجري تسمية العنق أو دراسة ظاهرة الحرب بين هامش موضوعات أو من خلال وليس بشكل ظاهرة سوسيولوجيا مستقلة قائمة بذاتها.

ثالثاً : التفسير السببي لظاهرة الحرب

هنالك عدة مقترحات وآراء ووجهات تتعارض مع الأخرى في تفسيرها المطلق الرئيسي التي تكمن وراء الحروب : نذكر منها :

هناك تفسيرات أهمها التفسير الأول لكن في النظرية الاشتراكية التي ترى أن الحروب الحديثة (Modern War) ما هي إلا عنصر ضروري لمرحلة معينة من صور متطورة تعكس مراحل التنمية الاقتصادية (Economic Development) التي ترافق الأمبريالية كمرحلة حضارية تاريخية مرت بها الدول الأوروبية والتي اعتمدت في وجودها ونموها على الحروب والصراعات العسكرية بين التحالفات والدول المعاصرة.

أما التفسير الثاني لأسباب الحروب يتجسد في طروحات وآراء وأفكار مدرسية التحليل النفسي حيث يكمن تفسيرها للطبيعة الإنسانية العدائية وفشل قوة العقل الظاهري في السيطرة على النوازع العدائية وفشل قوة العقل الظاهري في السيطرة على النوازع العدائية عند الإنسان لكن المجتمع يستطيع ضبط النوازع العدائية عند أفرادها عن طريق تغيير ظروفهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتدريبهم على ضبط النفس والسيطرة على تلك النوازع.

أما التفسير الثالث فهو يعبر عن أيضاً (حرية التجارة حيث يعتقدون بأن الحرب ما هي إلا تعبير عن الرواتب الاجتماعية للمجتمعات والحضارات الغابرة والظروف السياسية للسلالات الحاكمة عند الأمباطوريات التي لاتزال قوتها ومجدها وتريد إعادة مجد قوتها وهيئته، والحرب أحياناً

نتيجة المخاوف التي تكونها الشعوب بعضة أداء يعفيه الآخر أو نتيجة للمظالم والأحقاد التي خلقتها الحروب.

رابعاً: التفسير التطبيقي لظاهرة الحرب

يرى التحليل الوظيفي حيث يتعمق بتحليله لها وفق ثلاثة تقسيمات هي التخطيط والتنفيذ والشؤون الإدارية فالغرض من تخطيط الحرب هو وضع القوات المسلحة في أفضل وضع ممكن لها بالنسبة للعدو قبل بدء العمليات، أما بتنفيذ خطط الحرب فهو مسؤولية الضباط الأرض عامة على كافة الأصناف والمستويات لكن التخطيط للحرب يتضمن عدم مهام وفعاليات لتنظيم جهاز البقاع ورسم سياسة الحرب واستثمار وترشيد الموارد الصناعية والاقتصادية ومتابعة الموارد البشرية وتنسيق بين المستلزمات العديدة الأخرى التي تشكل القدرة والكفاءة الحربية عند الأمة، وهذه الأمور تعد من متطلبات التخرج قبل البدء الفعلي في الحرب ميدان التخطيط، ويكونا مسؤول كلياً بواسطة إداري، ومتشاري الوزارات المختلفة التي يتم تنسيق أنشطتهم بواسطة جهاز على مستوى القمة من مجلس الحرب أو مجلس الأمن القومي هكذا نلاحظ أنه تخطيط النعاع على أعلى المستويات إنما هو مسؤولية الحكومة المدنية للقادة العسكريين وترك هي أحدث التطورات المميزة للفترة الراهنة.

ومن نتيجة تلحق الخطوة الأخرى التي ثم فيها رسم السياسة الحكومية حتى تتمكن لنا خطة عسكرية بواسطة الضباط أركان الصنف الرئيسية للقوات المسلحة المسؤولين عن تنظيم القوات المسلحة للحرب وإعداد خطط العمليات والخطط الإدارية وبعد الموافقة على الخطة الاستراتيجية يكلف قادة مسارح العمليات المختلفة لها مهم العديدة ومن ثم تبدأ حلقة التخطيط في الرئاسة ذات المستوى الأدنى في العمل وفي الجيش تعتبر الأركان العامة في كل مستوى من مستويات القيادة مسؤولة عن كافة جوانب التخطيط الاستراتيجي والتشغيلي أنه بناء على تقديرهم يحدد حجم القوات المطلوبة كأبعد خطة التعبئة وتحركها وسياسة تدريبها ونظم الأسلحة والمعدات والتأمين الإداري وبقية القرارات المتعلقة بالإعداد للحرب.

أصبحت تخطيط للحرب عملية وظيفية معقدة تتطلب أعلى مستويات القدرة والمعرفة المهنية فقد كانت تولي التخطيط في النظام الألماني فئة داخل الجيش على مستوى عال من التدريب عرضت بأسم الأركان العامة وكان أعضاؤه يختارون خصيصاً من بين كادر الضباط في بداية حياتهم العملية والذين يتركز تدريبهم المهني على عمل ضباط الأركان ونواحي التخطيط للحرب والذين قضى معظم حياتهم العملية في الأركان بحيث أصبحوا في الوقت المناسب محترفين

موقرين التعليم أصبح قلب التخطيط العسكري الألماني ونتيجة لذلك دخلت ألمانيا في ثلاثة حروب، لذلك اعتبرت لها الخطة بشكل كامل ونسخته تنسيق دقيقاً قبل إطلاق النار في ميدان القتال بوقت طويل.

أما تنفيذ الخطط ما هو الذي يشكل القطيعة الحاسمة في الحرب حيث أنا الشارع العسكري يقدم لنا أمثلة عديدة استطاع فيها قادرون على إنجاح خطط عسكرية ضعيفة بفضل مهاراتهم في التنفيذ، أي بقدراتهم على استخدام القوات في ميادين القتال، وإذا لقينا نظرة على هذا الشأن نجد أن العديد من الأعمال في الحروب التي كتبها بريطانيا مثلاً قد تكون قليلة لو اعتمد فقط على جهود مخططيها ونادراً ما يكون العكس صحيح بمعنى مهما كانت الخطط دقيقة في أعلى مستويات لا يستطيع الفوز بالحرب إذا كان التنفيذ شيء من حيث الأعداد والتنفيذ الاستراتيجي وانعدام التنفيذ التكتيكي لها.

- المبحث الثاني -

أولاً: التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية للحرب على المجتمعات

تدمر الحرب المجتمعات والأفراد، وغالباً ما تعطل تنمية النسيج الاجتماعي والاقتصادي للأمم وتشمل آثار الحرب الأضرار الجسدية والنفسية طويلة المدى للأطفال والكبار، فضلاً عن انخفاض رأس المال المادي والبشري. ويعد المتضرر الرئيسي من الحروب والصراعات هم النساء والأطفال، ففي الصراعات المعاصرة (90) بالمئة من الضحايا هم من المعرفتين ومعظمهم من النساء والأطفال، وتواجه المرأة في المجتمعات التي مزقتها الحروب أشكالاً خاصة ومدمرة ناتجة عن العنف الجنسي والذي ينتشر في بعض الأحيان بشكل ممنهج لتحقيق الأهداف العسكرية أو السياسية.

ومن أهم الآثار أيضاً وتدمير الحياة الإنسانية والتراث الثقافي والاقتصادي وتعوق التنمية والسلام في المجتمعات المتأثرة، ويعد تجنب الحروب وحماية حقوق الإنسان، وتعزيز السلام والعدالة من أهم التحديات التي يواجهها العالم، حيث أن تأثيرات الحروب مدمرة على المدنيين في المجتمعات التي تشهد دول الحروب على أراضيها وخاصة عندما تطول سنوات الحرب فكما هو معلوم الحرب نزاع مسلح بين دولتين أو أكثر وتستخدم فيه كافة الأسلحة، ففي ظل سنوات الحرب تصبح حياة المدنيين قلقاً ومضطربة، وينعدم منها الاستقرار والأمن والأمان الذي هو العنصر الأهم لحياة طبيعية كريمة مستقرة وتكن المجاعات ويعم الفقر والأزمات وتسوء

الأحوال وتكثر العصابات وتسود الفوضى في العلاقات الاجتماعية والإنسانية وتتهار مؤسسات الدولة وتضعف أو تنعدم الخدمات العامة.

ومن أم الآثار الاجتماعية هو تمزق النسيج الاجتماعي الذي يعد من أهم وأخطر تداعيات الحرب وتلعب وسائل أعدام الحرب دوراً هاماً في خلق نزاعات طائفية ومذهبية حيث شكلت الحرب العالمية الأولى، واحداً من من أكثر الحروب تدميراً في الشارع الحديث، بالإضافة للأضرار الجنسية والنفسية طويلة المدى التي تخلق الحروب فضلاً عن الإعاقة، والأمراض النفسية والاجتماعية وأبرزها صدمة الحرب، ففي أوقات الحروب تفقد المجتمعات ألقها، وعندما تطول يفقد الناس الأمل بالخلاص وتزداد المأساة يوماً بعد يوم، ويصبح في كل عائلة قتيل أو أكثر، والكثير من المفقودين والنازحين من مدينة الى أخرى ومن منطقة الى أخرى مع كثرة العصابات والغلاء الفاحش وفقدان المواد الضرورية من غذاء وأدوية وحليب أطفال وغير ذلك من المستلزمات الأساسية للحياة، عدا عن تراجع الخدمات كالماء والكهرباء ومع استمرار هذه الظروف الكارثية الصعبة يبحث المواطنون عن منفذ للخلاص وأن كانا الطريق إليه مليئاً بالمخاطر، وكل ذلك لأن الحياة في الوطن بانت أشبه بالموت البطيء فوقها يكون الخيار لحم هو الهجرة بعيداً عن الآلام ومخاوف الحرب ويبدأ يفقد المجتمع مهما كان متقدماً منهاراً ومدمراً بسبب الصراعات والحروب⁽¹⁹⁾.

حيث أشارت الدراسات أن الحروب تسبب في وقوع عدد من الوفيات والإعاقة إضافة الى الآثار المادية والنفسية التي تخلفها على الأفراد، مما يؤدي الى انخفاض كبير في رأس المال المادي والبشري بالإضافة الى ما تسببه هذه الحروب من ساق مباشر أرواح الأفراد مع انتشار الأمراض والفقر والإعاقات المختلفة والأمراض النفسية والاجتماعية وعدد لا حصر له من المشكلات.

ويمتد تأثير الحروب على الصحة النفسية للإنسان، تتمثل في الاضطرابات النفسية والعقلية لفترات زمنية طويلة، قد ينتقل أثرها من جيل لآخر، ومن أمثلة الأمراض النفسية الاكتئاب واضطرابات القلق والقصام والسلوكيات التي تسبب الأدمان، ويتعرض الكثير من الأشخاص لمشكلات تتعلق بالصحة العقلية من وقت لآخر، ولكن يصبح القلق المتعلق بالصحة العقلية مرضاً نفسياً عندما تسبب العلامات والأعراض المستمرة أجهاداً متكرراً وتؤثر في القدرة على العمل، ونتج عن الحروب تدمير البنية التحتية التي تدعم صحة المجتمع بأكمله مثل قطاعات الأنظمة الغذائية، والنقل والاتصالات، وتشمل آثار الحرب الأضرار الجسدية والنفسية طويلة

المدى على الأطفال البالغين فضلاً من الفقراء التي تسبب لهم الإعاقة والتدهور الاقتصادي والأمراض الاجتماعية الناجمة عن صدمات الحرب بشكل مباشر.

ثانياً : ومن التأثيرات الاقتصادية للحرب

إن آثار الحروب وأضرارها كبيرة جداً مؤثرة على المجتمعات البشرية سلباً حيث تهدر موارد الشعوب ثرواتهم وتؤدي بحياة الكثير من الأشخاص دون سبب عقلائي كما أنها تسبب لمنع تقدم البشرية على مختلف الأصعدة سواء اقتصادية أو اجتماعية أو غير ذلك، كما تزيد الحروب من معدل ارتكاب الجرائم وتزيد على كاحل المجتمع وأفراده وتضعيف معنويات الأفراد وتضعف الأخلاق والقيم الحسنة في المجتمع.

وقد بذلت شعوب الأرض كافة الجهود الكبيرة للمدن الحروب بعد أن أصبحت واعية تماماً لما تسببه من تدمير وفتك وتخريب بالإضافة إلى قدرتها على إنهاء حياة جنس البشر خاصة عندما تستخدم الأسلحة الفتاكة فيها فقد تمثلت هذه الجهود بالكثير من المنظمات العالمية الإنسانية الداعية لحماية البشر من شر هذه الحرب والعمل على وقفها والحد والتقليل من آثارها مثل عصبة الأمم، وهيئة الأمم المتحدة، والمحاكم الدولية مثل محكمة لاهاي والتي هدفها تحقيق صوت الحرب واللجوء إلى السلمية لحل النزاعات.

وإذا سلطنا الضوء على إمكانية الوقوف على جملة من الآثار الاقتصادية نجد أن الاستعداد للحرب معناه الضرر بالتنمية ويقوض الثقة الدولية التي تعتبر ضرورة لتعزيز الموارد النادرة وحماية البيئة على الصعيد الإقليمي والعالمي، وضمن سياق الدراسات فقد وجد مؤخراً أنه قد اتفق العالم خلال العقدين الأخيرين نحو (17) ترليون دولار على النشاط العسكري وكان متوسط الاتفاق العسكري العالمي بلغ حوالي (850) مليار دولار سنوياً و(233) مليار دولار يومياً (97) مليون دولار في الساعة.

وتندرج مع الخسائر الاقتصادية التمزق الاجتماعي والتشرد والجوع والفقر وسوء التغذية وعدم الاستقرار وتنتشر الاضطرابات وتصبح في بعض الحالات عودة الناس إلى مواطنهم أمراً صعباً من الناحية الفعلية لما وصلوا العيش في بؤس لعدة عقود، والأصعب في ما أوردناه عن الأثر الفعلي للحرب هي أيضاً نوعية الأسلحة النووية التي أضافت إلى الحروب أبعاداً جديداً في رفع القوة التدميرية وهذا بلا شك زيادة في نسبة الخراب بحيث وقتها تزداد فجوة انعدام ما يعرف بالبحث عن الرفاهية الاقتصادية وانعدام العدالة والاستقرار الاجتماعي والاقتصادي.

وما ذكر أعلاه هو مؤشر للأفاق العسكرية حيث تفوقت نسبتها على التنمية وقد صاحبه الزيادة في أضفاء الصفة العسكرية على نطاق العالم زيادة مثيرة في تجارة السلاح في العقدين الأخيرين. وصلت مبيعات السلاح العالمية الإجمالية إلى حوالي (410) مليار أي حوالي (20) مليار دولار سنوياً وأفادت الدراسات العسكرية بأن قرابة (50) بالمئة من جميع واردات البلدان النامية من الأسلحة قد تم تحويلها بواسطة ائتمانات الصادرات وتبلغ تكلفة (30) بالمئة من جميع تدفقات الديون إلى البلدان النامية⁽²⁰⁾.

جاء في تقرير الأمم المتحدة للبيئة والذي كان عنوانه (لانقاذ كوكبنا الدائم) من الصيغة العسكرية إلى تحويل الموارد الهامة بعيداً عن الأنشطة الأنمائية التي تستخدم القوات المسلحة بين (60 إلى 80) مليون فرد على نطاق العالم من بينهم حوالي ثلاثة ملايين مهندس والمشكلة أن مساحات كبيرة من الأرض تخصص للتدريبات العسكرية واختيار الأسلحة وتستخدم أجود الأراضي في العديد من الدول من أجل تشييد المنشآت وضمان الخدمات العسكرية دون مراعاة الفرص الأفضل لاستخدام تلك الأرض لأغراض التنمية الاقتصادية والاجتماعية الوطنية، لقد كان لجميع الحروب تقريباً استراتيجية أساسية واحدة تدمر نظم دعم الحياة هزيمة الجيوش والشعوب حيث استخدام القصف الشامل للمدن وقتها وأبنيها الأساسية على نطاق واسع في الحرب العالمية الثانية حيث التقدم في التقنية العسكرية أبرز مجموعة كاملة من الأسلحة الموجودة التي تسببت بأضرار على البيئة الطبيعية والنسيج الاجتماعي للسكان بشكل تدميري وشديد الخطوة مما أدى وتسبب أيضاً في القضاء على الحياة البرية الأرضية والإصابات المرضية الأخرى للإنسان على أثرها نذكر منها الالتهاب الكبدي والتشوهات الخلقية.

كما في حرب العراق – الكويت عام 1990 التي مازالت آثارها قائمة إذ بين مجريات القياس أن الحرائق التي اشتعلت في (10,603) بئر للنفط في الكويت، كونها أسفرت عن سحب ضخ من الدخان وانتعاشات غازية انتشرت فوق مساحات كبيرة في شمال الخليج وكان من الآثار المباشرة للدخان تقليل الإشعاع الشمسي القادم إلى الأرض من الماء إلى خفض درجة الحرارة سطح الأرض في بعض أجزاء بشمال الخليج ولازالت الدراسات مستمرة وقائمة لبيان الآثار المترتبة إضافة إلى ما تسببه الصراعات والحروب من وجود المتشردين واللاجئين، حيث تبين التقديرات العالمية أن عدد اللاجئين زاد إلى نحو خمسة عشر مليون في التسعينيات إلى يومنا المعاصر هذا.

- المبحث الثالث - أولاً: عسكرة المجتمع

إذا تفحصنا ظاهرة العسكرة لنتعرف عن الجذور التاريخية لها عالمياً وجدناها أنها تتجسد في الحضارة الأغريقية من دولة مدينة (أسبارطة) الذي كان يهدف النظام فيها صلبة الى تنشئة الأسبارطي تنشئة جماعية متبينة وتجعل من المجتمع الأسبارطي مجتمعاً عسكرياً في العام الأول بحيث يشكل المواطنون جيشاً قائماً مستعداً للقتال في أي لحظة بعد أن يكونوا قد أمضوا مدة طويلة تتراوح بين العشرين والثلاثين عاماً في ثكنات عسكرية.

كذلك أصبح الرجال الأسبارطيون أشداء، فخورين، منضبطين بحيث أصبح حياتهم تجربة متواصلة من التحمل والكبت لكل لمشاعرهم استجابة للاعتقاد السائد بأنهم وجدوا فيب يخدموا بلدهم، وأن للمواطن الأسبارطي عمل واحد هو الحرب.

وإذا تمعنا بعمق وبحثنا بالجذور لظاهرة نجدها هي ظاهرة قديمة سابقة على نشأة الدولة القومية عرضها العديد من الدول الى حدود نهاية الحرب العالمية الثانية ولحد هذا التاريخ لم يترسخ الممارسة التي تنادي بسيطرة المدنيين على الجيوش.

على الرغم من أن هذه الأفكار ظهرت مع بزوغ فجر الديمقراطية في القرن الثامن عشر، وبالتحديد مع الثورة الأمريكية والفرنسية، لكن التجربة الأمريكية، وظهور مرسوم الأمن القومي في 1947، تشكل ركيزة مهمة في بناء منظومة غير جراحية في العلاقات المدنية العسكرية، وحسم مسألة خضوع العسكر للقيادة السياسية باعتبار ذلك يمثل مبدءاً جوهرياً من مبادئ الديمقراطية.

حيث نجد أن الفكر الليبرالي الديمقراطي برفض فكرة العسكرة، ويهتم بالتركيب المدني للمجتمع، وهو مجتمع لا يحكمه العسكر، ولا يحكمه رجال الدين وتسود فيه سلطة القانون وحل الخلافات عن طريق الحوار والتفاوض وليس العنف.

حيث ارتبط العسكرة ارتباطاً وثيقاً بالفكر السياسي وتمت وبزغت في ظل أيديولوجيات ومقولات وأفكار فلسفية مجدت العنف السياسي، ونادت بتحويل المجتمع الى كتلة أمدرها ولديه استعداد للقتال، الفاشية عند (بينيتو أندريا موسوليني) حاكم إيطاليا ما بين (1922 – 1943)، والنازية عند (أدولف هتلر) حاكم ألمانيا ما بين (1933 – 1945)، والاشتراكية القومية المتطرفة عند (فرانسيكو فرانكو) حاكم إسبانيا ما بين عامي (1939 – 1975)، انتجت أفكاراً مبنية على التشدد والعنصرية واستعمال القوة وتمجيد دور الجيش، حيث أسهمت هذه الأيديولوجيات في نشر ثقافة عسكرة المجتمعات، واعتبار الشعب أداة بيد الدولة، كما أن

الفقر الماركسي كآماله تصب من هذه الثقافة باعتباره يؤمن بأن الصراع مع الرأسمالية تاريخي فطويل لا ينتهي إلا بعد القضاء عليه.

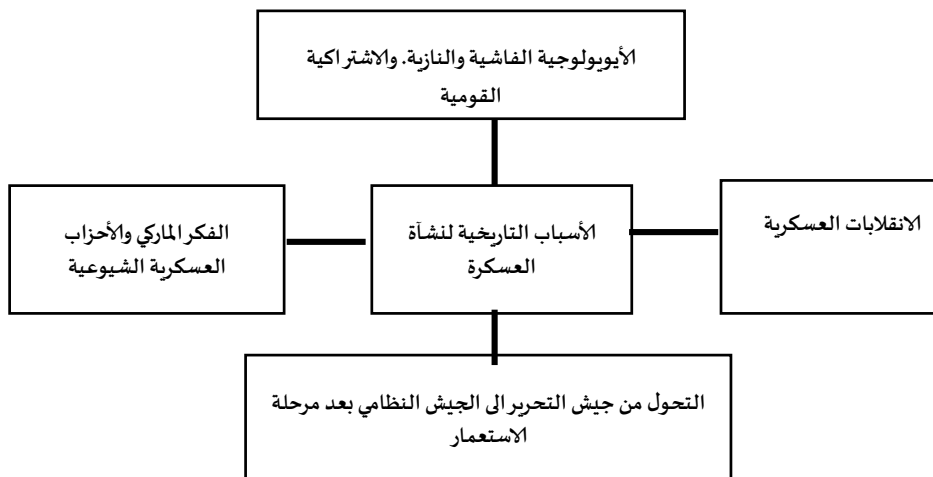
وعلى هذا المنهج، سارت الحركات اليسارية التي أمنت بفكرة الشرعية الثورية لاستلام السلطة عن طريق القوة وبلاستعداد الدائم للدفاع عن الثورة واعتبر بهذا الجيش أداة الثورة في الدول الشيوعية وامتداداً للحزب الشيوعي على مستوى العلاقات التسطحية الأيديولوجية.

ومنذ بداية الحروب الثورية، أو حروب التحرير ضد الاستعمار تبلورت بشكل أعمق ظاهرة العسكرية فكان لها دور في عسكرة الدول والمجتمعات باعتبار هذه الحروب تطلبت تعبئة جميع طاقات الشعب، وتأسيس جيش التحرير لمقاومة الاستعمار. وكان هذا الجيش هو النواة الأساسية لتأسيس الجيش النظامي لدول الاستقلال الوطني، وأمن بالشرعية التاريخية بالنظر الى دوره في التحرير وتأسيس دولة ما بعد الاستقلال، وعلى سبيل الذكر يمثل هذا السياق التاريخي جزءاً من أسباب تدخل الجيش المغربي في الحياة السياسية في المرحلة الأولى من استقلال المغرب الى غاية الانقلابيين العسكريين الفاشلين سنة 1970، 1971، الشيء الذي أدى ودفع ملك المغرب وقتها آنذاك الحسن الثاني (1961 – 1991) عزل الانقلاب لأبعد الجيش عن السياسة⁽²¹⁾.

واستناداً الى ما ذكر أعلاه يعتبر التاريخ الطويل في السيطرة على الحكم عبر الانقلابات العسكرية أحد العوامل الأساسية في الظهور العسكرية خاصة في دول أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا التي عاشت تجارب متكررة من تدخل الجيش في السياسة، وعلى سبيل الذكر شهدت الدول العربية منذ استقلالها ما يقارب (65) انقلاباً عسكرياً ما بين ناجح وفاشل، أغلبها في موريتانيا والسودان ومصر والعراق.

وأستأثر موضوع العسكرية السياسية الناجحة عن الانقلابات العسكرية باهتمام الباحثين، فظهرت قراءات تفسرها بضعف بنية الدولة ومؤسسات المدنية، ويتفشى الفساد وسوء الإدارة، وتدني الثقافة للمؤسسة العسكرية التي لم تصل الى درجة من الاحتراف العسكري يسمح لها بعدم تجاوز حدود مسؤولياتها تجاه الدولة والمجتمع. وضمن هذا السياق يصف كلود ويلش (Claude welch) وأرثر سحيت (Arthur Smith) هذه الظاهرة بالعلاقات المدنية – العسكرية البريتورية (Praetorianism) التي تنتشأ نتيجة الانقلابات العسكرية والتدخل العسكري واسع النطاق في الحياة السياسية، حيث يكون الجيش فوق السلطة المدنية ويحافظ على وضع التحكم أو التهديد بالتدخل، ويشغل العسكريون مناصب سياسية، وقد شاع هذا النموذج في

دول العالم الثالث يعد حصولها على الاستقلال بسبب افتقاد مؤسساتها السياسية الشرعية القوية، وانخفاض درجة الاحتراف في مؤسسة الجيش. ويؤكد هنتنغتون مؤسس النظرية التقليدية في العلاقات المدنية - العسكرية، أن الاحتراف هي الآلية الرئيسية لضمان إقامة عريقة مدنية عسكرية ديمقراطية (Demoeraey) حيث نجد أحياناً ضمن هذا السياق أن الضباط العسكريين المتميزين وبدرجة عالية من الخبرة العسكرية يكون لديهم استعداد للخضوع للسلطة المدنية بعيداً عن الاقتراب من الحكم المدني. وهذا الشكل التوضيحي يبين النشأة التاريخية للعسكرة كما ذكرنا بالسياق أعلاه.



نستنتج مما ذكر أعلاه أن عسكرة المجتمع هي سياسة تعود المجتمع وتحوله من حالة المدنية الى حالة وضع الأفراد تحت ثقافة السلاح أو أمثلة ذلك قوات الباسيج والحرس الثوري في إيران، عبر وسائل متعددة تشمل القطاعات المدنية كافة، بحيث يتم تجاوز المهمة التي يفترض أن تسند الى القوات المسلحة، ثم يتم توجيه الجزء الأعظم الوارد البلد نحو الإسناد واللوجستي والتعبوي التثقيفي لهذه السياسة التي تعتبر من أهم مظاهر الحكم الشمولي لإدارة الدولة والاستحواذ المطلق على السلطة وهي بنفس التوقيت واقعة اجتماعية تحمل بين طياتها قيم ومفاهيم العنف التي يرثها المجتمع أو تخلقها ظروف النشأة.

وهناك اتجاه آخر ارتبط بالحروب الثورية وحروب التحرير الوطنية فتكون هذه العسكرة أحد أوجه الأنظمة الشمولية، حيث تكون منزلة ومفروضة وقسرية ذات مضامين أيديولوجية تستخدم من الدين والوطن وغيرها كي توفر للأفراد، مرجعية فكرية تبرر من خلالها منزلته

القسرية الوهمية على نحو يشعره بالبطولة والفخر، أو قد تكون مظهرًا طارئًا لأزمات سياسية أو مجتمعية وبديل الأحوال جميع هذه الأشكال تسحب آثارها السلبية على بنية ومفاهيم المجتمع بصورة تفضي إلى الخروج عن المسار الديمقراطي حيث تم حسم الخلافات السياسية عن طريق السلاح بعيداً عن الحوار مما يجعل المجتمع بعيداً عن أجواء الحرية والتعبير عن الرأي.

وفي هذا السياق نجد أمثلة للعسكرة منها التجربة الإسرائيلية بعد عام 1948 حتى يومنا هذا، المثال الأبرز والأوضح في مجال عسكرة المجتمع، إذ أضى المجتمع الإسرائيلي برمته خاضعاً لنهج صارم من العسكرة، فجميع الإسرائيليين القادرين على حمل السلاح رجالاً ونساءً يؤدون الخدمة الإلزامية، وباتت المؤسسة العسكرية بالنسبة لإسرائيل ليست مجرد آلة مسلحة لتحقيق أهداف السياسية ومصالحها الحيوية، ولكنها تتغلغل في معظم أوجه الحياة السياسية، بدءاً بإقامة المستوطنات وتنظيم الهجرة إلى إسرائيل وتحقيق التكامل بين المهاجرين إليها. وتنظيم البرامج التعليمية لأفراد الجيش، ومراقبة أجهزة الإعلام وتوجيهها، وتطوير البحث العلمي، إلى تمديد حجم الأنفاق العسكري بما يؤثر على عموم الأحوال الاقتصادية للدولة، والتأثير علماً مجال الصناعة وخصوصاً الصناعات الحربية والإلكترونية ومجال القوى العاملة والقيمة الإدارية فحجم التفاعلات التي تشترك فيه المؤسسة العسكرية الإسرائيلية تعد نموذجاً خاصاً ومتميزاً لدور العسكر بين وقوماً يعطي للوظيفة العسكرية تعبداً تاريخياً خصوصاً يعد بنشأة الكيان الصهيوني ونمو الاستيطاني الصهيوني فأصبحت إسرائيل وجه من أوجه ونموذج حتمي للعسكرة في جميع المجالات بشكل حتمي وصارم.

ثانياً: الانعكاسات الاجتماعية والسياسية لعسكرة المجتمع العراقي

لازلنا بالحديث عن عسكرة المجتمعات وتداعياتها على الأفراد وإذا ألقينا النظر في المجتمع العراقي كنموذج يعكس بالممارسة أبرز صور للعسكرة.

ابتدأ منذ 1921 وبداية الدولة العراقية المسار الأول والمنعطف المهم للعديد من التحولات والتطورات كطريق لعسكرة المجتمع بعد إنشاء الجيش الوطني الذي استولى على السلطة عام 1958 بعد الانقلاب الذي قاده القائد عبد الكريم قاسم وأطاح بالنظام الملكي. فبعد هذا الانقلاب أخذت الحكومات المتعاقبة اهتماماً متزايداً بالجيش من حيث الأعداد والتسليح والتمويل لاسيما وأن رؤساء تلك الحكومات كلهم من العسكريين، هذا إلى جانب انتشار المظاهر المسلحة بين أفراد الشعب المتمثلة بميليشيات الحرس القومي وغيرها.

وكان انقلاب 1968 للبعثيين قد سجل تصعيداً خطيراً في مسار عسكرة المجتمع العراقي. فكانت نقطة الانطلاق في مسيرة العسكرة البعثية متمثلة بالزيادة بأعداد الجيش ما نسبته (3%) من إجمالي القوى العاملة عام 1970 الى (21%) عام 1988. واستمرت تضاعف الإنفاق العسكري في العراق وقت الحرب مع الدولة الإسلامية الإيرانية التي امتدت ثمان سنوات، نجح النظام السياسي في تحويل المجتمع العراقي بكل شرائحه الى قوة عسكرية مؤهلة الى حمل السلاح في أي وقت وفي كل لحظة. حيث كانت الحرب مع إيران من وجهة نظر النظام الحاكم فرصة إزالة التهديد الإقليمي المفترض (إيران الإسلامية) وتعزيز مكانة العراق وزيادته في العالم العربي. ذهبت التوقعات الى انتصار سريع يعزز الجبهتين الداخلية والإقليمية، لكن وعلى حد قول ما ذهب إليه (بيتر سلغلييت) ارتكب العراق خطأ مزدوجاً إذ أفرط في تصدير التأثير الأيديولوجي الإيراني في شيعة العراق، مقلل من شأن النزعة الوطنية وسط شيعة العراق، مفرط في تقدير اندماج التشيع في إيران بالشعور القومي الإيراني. حيث نسى العراق الحرب باسم أهداف عامة جمعت المطالب العراقية والعربية والإقليمية والسياسية معاً، ولم يخرج منها إلا بهلاك جيل كامل من الناس.

وفي نفس السياق سعت دولة البعث الى معالجة آثار الحرب مع إيران بعد أن خرج العراق متلبداً بالديون ومعزولاً دولياً لذلك بحثت بممر آخر لمعالجة آثار الحرب الخليج الأولى بشن حرباً أعمق وأشد تدميراً.

نبذت أزمة الاصلاحات وجاء الغزو كان اجتياح الكويت في 1990 نتاج سابقتها، أو تعبير آخر حرب تلد حرب، محاولة لوأد الإصلاح الممكن وتوجيه الأزمة الى الخارج، وجلب الدواء من عائدات النفط لتزيد حصيلة عائداتها من جاراها الكويت، حيث كان هدف السياسي يضاف الى آلت إليه من تأمين ما يكفي من الثروة النفطية لإقالة العراق من أعبائه الاقتصادية، إحياء الحماسة الوطنية الشعبية لتتساق مع النزعة القومية الرسمية، حيث رفعت شعارات الوحدة العربية والتوزيع العادل للثروة بغية ضمان التأييد العربي الأوسع لعملية (ضم الكويت) جعلها كانا شرط الانسحاب من الكويت ربط بشرط انسحاب إسرائيل من الضفة الغربية وغزة، لكن في الواقع تغطي غايات توتاليتارية أنانية، كما أن هذه الحرب بالنسبة الى كل الأطراف من جانبي النزاع الحرب الأولى الذي هدفه زيادة النفط.

وفي عقد التسعينيات وتحت تأثير انسحاب الجيش العراقي بعد احتلال الكويت، بدأ النظام البعثي بالبحث عن ذرائع ووسائل أخرى لتخويف وإرهاب أفراد المجتمع العراقي وأخضاعه

لسيطرته بتشكيلات جديدة مخطط لها ومدروس ذات طابع عسكري أسماه (جيش القدس) الذي فرضه على جميع شرائح المجتمع العراقي وبعدها التجربة العسكرية ما أسماه بـ (فدائي صدام).

الإجراءات تحول المجتمع الى معسكر بكل مظاهره وممزجاته في مختلف مناحي الحياة. ثم انتقل المجتمع العراقي لمرحلة جديدة تمثلت سقوط النظام البعثي عام 2003 حيث تمثلت هذه المرحلة وجهات جديدة للعسكرة بعد غياب مؤسسات الدولة وشيوع مظاهر التسليح التي واكبتها ونتج عنها ملامح وأوجه متنوعة من التسليح المفرط والمليشيات العسكرية مما أدى الى تعويض صلاحية السلطة أولاً وأرباك الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي ناهيك عن عرقلة البناء الديمقراطي الجديدة بعد عهود زمنية عاشتها المجتمع العراقي في ظل الدكتاتورية الشمولية عصفت بها أركان وصنوف وأفراد المجتمع بأكمله.

الاستنتاج :

اهتمت التحليلات والدراسات السوسيولوجية للحروب بأبراز الوظائف الاجتماعية للحروب، وأنقسمت هذه التفسيرات الى اتجاه يؤيد الحروب والصراعات كونها تمثل بمراحل مهمة وحتمية في التطور والتقدم الاجتماعي وأخرى تناولت آثار الحروب على السكان كمظهر من مظاهر التدمير الفكري والاجتماعي للمجتمعات لما تحمله من مخاطر سلبية تمثلت بالأزمات الاقتصادية المتعددة الأبعاد تليها عسكرة المجتمع والذي يجيز للدول استخدام القوة لتحقيق أهدافها سواء كانت اقتصادية أو عسكرية لتحقيق النفوذ مفرض الإرادة.

وفي هذا السياق نستنتج أن الحرب ليست ظاهرة جديدة وإنما هي ظاهرة قديمة تعود الى القرون الماضية وبتغيير أشكالها وتختلف مع تطور وتبدل الأزمان ضمن ثنائية المكان والزمان والظروف والأحوال المتحركة فيها، حيث أن الصراعات والتفاعلات والمتغيرات المجتمعية الحديثة والحاصلة من الصالح المعاصر الآن أودت الى بزوغ فظهور أصناف وأشكال جديدة من الحروب ارتسمت بمسميات لاسيما بعد نهاية الثمانينيات من القرن الماضي وتفكك الاتحاد السوفيتي ما اسميناه (الحرب الباردة) وسيطرة القطب الواحد المتمثلة بالولايات المتحدة الأمريكية التي عملت الى تغيير مسرح القوى في كافة محالات الحياة السياسية والاقتصادية لصالحها وقولية الفكر العالمي لصالحها.

إذن نستنتج مما ذكر أعلاه أن الحرب مجموعة من التفاعلات المتداخلة لا يقتصر على صراع يمني معسكرين وإنما هي مواجهة متعددة الملامح والصور والسمات والأبعاد بتغيير مسرحها

وآفاقها بحسب الوضعيات والساحات تارة تكون قومية بين الأمم وتارة تصيح نزاعاً متسع ضد قوى عابرة للقارات والهول كالإرهاب الدولي والمخدرات في عالمنا المعاصر اليوم أوجه أخرى كالتحالفات الدولية والتكتلات الإقليمية والاقتصادية.

الخاتمة :

أصبحت الشعوب اليوم بعدما عاشته خلال القرون الماضية من ويلات الحروب بما سببته من تدمير وتخريب وقتك للمجتمعات البشرية ففيها تهدر موارد الشعوب وتفقد ثرواتهم بعد القضاء على الجنس البشري خاصة عندما تستخدم الدول المتصارعة الأسلحة الفتاكة والخطرة النووية منها، والبيولوجية لتحقيق أهدافها كافة ضد الخصم وغير ذلك من الآثار على مختلف الأصعدة سواء كانت اجتماعية واقتصادية مما أدى سلباً على أرباك هيكلية المجتمعات، وفقدان معنويات الأفراد والقيم الأخلاقية في المجتمع واستفحال الجريمة.

حاولنا بحثنا الحالي بصد ظاهرة الحرب التقليدية والحديثة في المبحث الأول، وأهم مسبباتها عالمية وآثارها الاجتماعية والاقتصادية في المبحث الثاني.

ثم بحثنا بأهم التجارب العسكرية التي مرت بها المجتمعات مروراً بالصيغة العسكرية كنموذج لدراستنا في المبحث الثالث.

الهوامش:

- (1) ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 294.
- (2) سامي عوض، معجم المصطلحات العسكرية، ص 373.
- (3) كارل فون كلاوز وفيز في الحرب، ص 103.
- (4) لجنة توحيد المصطلحات، المعجم العسكري الموحد، ص 392.
- (5) محمد سعد الدين زكي، الحرب والسلام، ص 19.
- (6) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط 4، 2004، ص 23.
- (7) أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص 443.
- (8) دينكن ميتشل، معجم علم الاجتماع، ص 226.
- (9) عصام مهدي، الحرب والمجتمع، ص 135.
- (10) جنان شاكر الراوي، وآمال عبد الحميد، الآثار الاجتماعية والبيئية الناتجة عن الحروب على العراق للفترة من (1980 – 2015)، ص 129.
- (11) مهدي محمد القصاص الحروب الحديثة وأثرها على أمن المجتمعات، ص 49.
- (12) ابن خلدون، المقدمة، ص 293.

-
- (13) نفس المصدر، ص 110.
- (14) Waltz, Man, the State and war, P.18.
- (15) لألقاء نظرة على أهم المعالجات لنظرية توازن القوى في الواقعية الكلاسيكية، المصادر. Morgenthau, Politics Among Nations, PP.11-13.
- (16) غاستوف بوتول، هذه هي الحرب، ص 23.
- (17) Ferguson, War Annthropology, P.36.
- (18) مجدي عطية مقدمة في دراسات الحرب، ج 3، ص 15.
- (19) Mousseau, Michael, Democracy and Compromise in Militarized Inter State Conflicts, No.2, P.210-230.
- (20) سعاد شوا، الحرب أسبابها آثارها وتأثيرها على المجتمعات، ص 19.
- (21) وليد خالد، العسكرية وسوسيولوجيا الحرب، ص 9.

War and military society Social study - Iraq as a model

Assist Prof. Majida ShakerMahdi

College of Arts - University of Baghdad



Majidashaker2014@gmail.com

Keywords: War, society, militarism

Summary:

This study comes as a the theoretical and cognitive contribution to the study of the phenomenon of war in its traditional and contemporary forms, as it a changing, and complex historical phenomenon according to and global indicators required by circumstances and interests.

The current study demonstrates the seriousness of the phenomenon, by first Studying it, tracing its concepts and temporal development and shedding light on its repercussions.

Social awareness of the dangers of militarization represented by the spread of weapons and the militarization of Socialization and the social, security and political crises it carries for members of society during the past periods